عنوان الليسانس: لسانيات عامّة.
السداسي الخامس. السنة الثالثة ليسانس
المادة: علم الدلالة 1
وحدة التعليم الأساسية. المعامل: 02. الرصيد: 04
نوع الدرس: محاضرة
إعداد الأستاذة: د. غنية تومي

المحاضرة 06: الدلالة عند الفلاسفة والمناطقة والمتكلّمين

إنّ نظرة فاحصة في المتن العربيّ التراثيّ الفلسفيّ والمنطقيّ وفي بيئة المتكلّمين ستضعنا أمام أسماء علماء تنوّعت تناولاتهم لمباحث اللّغة عامّة، والدّلالة تحديدا، ومن هؤلاء مثلا الفيلسوف **ابن سينا**(ت427ه) الذي يتميّز التحليل الدّلالي عنده بوقوفه على البعديْن النّفسيّ والذّهنيّ المصاحبيْن للعملية الدّلاليّة.

يكثر ابن سينا من ذكر الوجود الذّهنيّ للعلامات اللّغويّة، وارتسامها في النّفس والخيال؛ إذ يتمّ نقل المفاهيم المكنونة في الذّهن للمدلولات في العالم الخارجي إلى أدوات دالّة كالألفاظ والكتابة، وتجده كذلك يقسّم اللّفظ اللّغويّ بحسب الإفراد والتّركيب والتّأليف، وبحسب الكليّ والجزئيّ، ثمّ تراه يبين عن اللّفظ الخاص واللّفظ المشترك والجامع بين الصّفتيْن، إضافة إلى أنّه يقسّم الدّلالة إلى ثلاثة أقسام:

1- دلالة مطابقة: وهي التّطابق الحاصل بين اللّفظ وما يدلّ عليه كالإنسان الذي يدلّ على الحيوان الناطق.
2- دلالة تضمّن: وهي ما يتضمّنه اللّفظ من معان جزئيّة تدخل في ماهيته كقولك: الإنسان فإنّه يتضمّن الحيوان.
3- دلالة التزام: وتحتاج إلى أمر خارجي لعقد الصّلة بين الدّال ولازمه، مثل دلالة الأب على الابن والسّقف على الحائط[1].

أمّا في بيئة المتكلّمين(نسبةً إلى علم الكلام) فنجد الباقلانيّ(ت403ه) وقد تناول واحدة من قضايا الدلالة الحديثة وهي ما يُعرَف في علم الدّلالة بـالرَّصف أو التَّضام؛ إذ أشاد في معرض حديثه عن الجانب الإعجازي في سورة النّمل بالحسن في اللّفظ القرآني مفردًا كان أو في التركيب؛ فاللّفظة المفردة فيها من الجمال والرونق ما يزداد بتسييقها أو ضمِّها إلى أخواتها في تجاورٍ تركيبيٍّ أفقيٍّ. يقول في هذا: "وانظر إلى الكلمات المفردة القائمة بأنفسها في الحسن، وفيما تتضمَّنه من المعاني الشريفة (...) ثمّ انظر في آية آية وكلمة كلمة، هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم وبديع الرَّصف؟!، فكلّ كلمة لو أُفردَت كانت في الجمال

غاية، وفي الدّلالة آية، فكيف إذا قارنتها أخواتها، وضامَّتها ذواتها، ممَّا تجري في الحسن مجراها وتأخذ في معناها"[2]؛ فالمفردات القرآنية مزية بأنفسها بما لها مِن شرف المعاني فما بالك في حال ضمّها بعضها إلى بعض، في تعاقب وتسلسل قواعديّ ودلاليّ في جُمَلٍ هي آيات فَسُوَر.

أمّا **فخر الدين الرازيّ** (ت606هـ) فيؤكّد وفي مواضع عدّة على أهميّة الدّلالة التركيبيّة أو دلالة اللّفظة في حواليتها اللّسانية مقارنةً بمقابلتها المفردة المنعزلة؛ فـ"...ليس الغرض من وضع اللّغات أن تُفاد بالألفاظ المفردة معانيها "[3] إدراكًا منه لاختلاف دلالة اللّفظة من سياق لآخر ومن استعمال لغيره، فتتبدَّى الفائدة من الكلام في التركيب؛ إذ " ذِكرُ الكلمات وحده بمثابةِ نعيق الغراب في الخُلوّ من الفائدة "[4] ممَّا يعني أنْ لا طائل من الكلمة خارج سياقها، وهو شعار أصحاب "المعنى في الاستعمال"، غير أنّه في موضع آخر يمنح الكلمات المفردة أهمّيةً كبيرةً باعتبارها اللَّبِنَات الأولى لكلِّ تركيبٍ، وأساسًا لكلِّ بناءٍ جُمَليٍّ، ذلك أنَّ "مدلول الألفاظ المركَّبة ليس إلَّا المُرَكَّب الحاصل من المفردات التي هي مدلولات الألفاظ المفردة"[5].

لقد تناول بالتفصيل العلاقات الدّلاليّة المتنوّعة؛ فمثلا الترادف ذكر أنّ ألفاظ التّرادف هي:" الألفاظ الدّالة على مسمًى واحد باعتبار واحد"[6]، وعلّل سبب وجودها في اللّغة، وضرب أمثلة لها، كما ذكر في مصنّف آخر له أنّه قد تكون الألفاظ تقترب من أن تكون مترادفة، ولكنّ التّأمّل التّام يدا على الفرق اللطيف ومثاله (الرّؤوف) و(الرّحيم)؛ فالأولى أميل إلى جانب إيصال النّفع، والثانية أميل إلى جانب دفع الضّرر[7].

كما بحث ظاهرة المشترك اللّفظي، وعرّفها بأنّها "اللّفظ الموضوع لحقيقتيْن مختلفتيْن أو أكثر وضعا أوّلا من حيث هما كذلك"[8]، وبيّن دور السّياق في تجلية ما يمكن أن يقع من غموض المشترك؛" اللّفظ المشترك إمّا لأن توجد معه قرينة مخصّصة أو لا توجد، فإن لم توجد بقي اللّفظ مجملا لما ثبت من امتناع حمله على الكلّ، وإن وجدت القرينة فتلك القرينة إمّا أن تدلّ على حال كلّ واحد من مسمّيات اللّفظ"[9].

إذن، فبيئة الفلاسفة والمناطقة وحتى المتكلّمين زخرت بكثير من القضايا التي هي اليوم من صميم علم الدلالة وبمخرجات دقيقة ومتنوّعة.

---

[1] -للتّوسّع أكثر في المسائل الدلاليّة في فكر ابن سينا، ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدّلالة، ص168 - 176.

[2] -الباقلانيّ، إعجاز القرآن، تح. السيّد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، (د.ت)، ص 190.

[3] -فخر الدين الرازيّ، المحصول في علم أصول الفقه تح. طه جابر فياض العلواني، الرياض، ط1، 1400 هـ، 267/1.

[4] -فخر الدين الرازيّ، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح. بكري شيح أمين، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط1، 1985م، ص149.

[5] -فخر الدين الرازيّ، المحصول في علم أصول الفقه، 336/1.

[6] -نفسه، 253/1.
[7] -فخر الدين الرّازيّ، مفاتح الغيب(التفسير الكبير)، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1، 1981م، 143/1.
[8] -فخر الدين الرازيّ، المحصول في علم أصول الفقه، 261/1.
[9] -نفسه، 279/1.